

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ،

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفْضَلَ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾¹. وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُحْسِنَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ يَرَى اللَّهَ.² فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَصِلُ إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ يَعْرِفُ مُرَاقَبَةَ اللَّهِ إِيَّاهُ، فَيَجْتَهِدُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ. فَهَذَا الْاجْتِهَادُ يَشْمَلُ عِبَادَاتِنَا كَمَا يَشْمَلُ حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةَ وَعَلَاقَاتِنَا الْمُخْتَلِفَةَ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»³

يَا جَمَاعَتِي الْعَزِيزَةَ،

مِنَ الْعَجِيبِ جِدًّا أَنْ أَهْلَ إِنْدُونِيسِيَا - الَّذِي يُعَدُّ أَكْثَرَ الدُّوَلِ الْمُسْلِمَةِ مُوَاطِنًا - أَسْلَمَتْ عَلَى يَدِ تِجَارٍ تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ وَوَصَلُوا إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ. هُوَ لَأَمْ طَبَّقُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»⁴ وَتَعَرَّفُوا عَلَى الْإِسْلَامِ بِوَسَاطَةِ مُعَامَلَاتِهِمْ فِي التِّجَارَةِ جِدًّا فَكَانُوا سَبَبًا لِتَأَثُّرِ أَهْلِ الْمِنْطَقَةِ بِالْإِسْلَامِ. فَإِنْ لَمْ نَفْهَمْ أَنَّ اللَّهَ يُرَاقِبُنَا وَأَنَّهُ يُرِيدُ مِنَّا أَنْ نُحْسِنَ فِي أَعْمَالِنَا كُلِّهَا، سَيَكُونُ لِذَلِكَ تَأْثِيرٌ سَلْبِيٌّ عَلَى سُمْعَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. لِأَنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَتَعَلَّمُونَ دِينَنَا مِنْ كُتُبِنَا، بَلْ مِنْ أَحْوَالِنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا. فَهَذَا الْإِمْتِحَانُ يَسْتَمِرُّ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَالْمَصْنَعِ وَالْجَامِعَةِ وَمَكَانِ الْعَمَلِ إِلَى الشَّارِعِ.

الْإِحْسَانُ كَذَلِكَ مُهِمٌّ جِدًّا فِي مُعَامَلَاتِنَا مَعَ وَالِدِينَا. وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَبْوِينِ. يَقُولُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾⁵
فَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا بَعْدَ أَنْ شَرَبْنَا نَفُوسَنَا عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ أَنْ نُحْسِنَ إِلَى وَالِدِينَا الَّذِينَ تَحَمَّلُوا الصُّعُوبَاتِ لِتَرْبِيَّتِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»⁶
فَهَذَا الْحَدِيثُ يُلَخِّصُ مَرَامَنَا. فَبَعْدَ الْأَبْوِينِ، عَلَيْنَا رِعَايَةَ الْإِحْسَانِ فِي إِخْوَانِنَا وَأَطْفَالِنَا وَسَائِرِ أَقْرَبَائِنَا وَكَذَلِكَ كُلِّ إِنْسَانٍ نُخَاطِبُهُ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ.

يَا جَمَاعَتِي الْحَبِيبَةَ،

إِنْ كَانَتْ غَايَتُنَا الْجَنَّةَ وَنَيْلَ رِضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ اللَّهَ يُرَاقِبُنَا دَائِمًا، وَأَنْ نُحْسِنَ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فِي عِبَادَاتِنَا وَأَعْمَالِنَا وَعَلَاقَاتِنَا كُلِّهَا.

اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا مَقَامَ الْإِحْسَانِ لِنَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. آمِينَ



⁵ سورة الإسراء: ٢٣، وانظر: سورة البقرة: ٨٣، سورة النساء: ٣٦، سورة

الأنعام: ١٥١.

⁶ مسند الإمام أحمد، رقم الحديث (٧٩٣٩)

¹ سورة النحل: ١٢٨. ولتفسيرها انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.

² انظر مسلم، كتاب الإيمان، ١.

³ مسلم، كتاب الصيد، ١١، رقم الحديث (١٩٥٥)

⁴ الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٧٥\١، والحديث حسن.